المحاضرة الخامسة: الابداع والابتكار كمحور للمقاولاتية

تهدف هذه المحاضرة إلى تعريف الطالب ب:

- أهمية الابداع والابتكار في مجال المقاولاتية.
- أهم العوامل المساعدة على الإبداع والابتكار في هذا المجال.

أولا: ماهية الإبداع والابتكار

يفرض التقدم الهائل؛ الذى يشهده الواقع المعاصر تحديات تستوجب حلول إبداعية مبتكرة في مختلف المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والثقافية....إلخ.

1- مفهوم الابداع:

أ- **تعريفه:** "هو العملية التفكيرية التي تساعد على توليد الأفكار، ويتم فيها خلق شيء ما جديد له قيمة ملحوظة للفرد أو الجماعة أو المنشأة أو الصناعة أو المجتمع".

ويعرّف أيضا بأنه: "أفكار جديدة، ومفيدة، ومتصلة بحل مشكلات معينة، أو تجميع، وإعادة تركيب لأنماط المعرفة في أشكال فريدة".

ولا يقتصر الإبداع على تطوير السلع والعمليات المتعلقة بها فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل الآلات والمعدات، وطرائق التصنيع، والتحسينات في التنظيم، ونتائج التكوين لضمان ازدياد الانتاجية، ويكون للبيئة دور فاعل في نمو الإبداع وتطوره.

ويعتبر "Schumpeter" أول من ركز على الابداع في الاقتصاد، وعرّف مصطلح الابداع بأنه: "بأنه الحصيلة الناتجة عن ابتكار طريقة أو نظام في الإنتاج يؤدي إلى تغيير مكونات المنتج وكيفية تصميمه" .

وقد صنف شومبيتر الابداع إلى خمسة أصناف، وهي :

- إنتاج منتجات جديدة استجابة لطلبات مستقبلية .
- الكشف عن طرائق جديدة في الإنتاج لم تكن معروفة من قبل تساهم في تخفيض التكاليف .
- إيجاد منفذ جديد لتصريف المنتجات .
- اكتشاف مصدر جديد للمواد الأولية .

- إيجاد تنظيم جديد .

ويرى Feldhusen (1998) أن الإبداع هو نشاط معرفي، يشتمل على تطوير، واستخدام قاعدة معرفية كبيرة من المعلومات، وممارسة مهارات التفكير المعرفي وما وراء المعرفي لاتخاذ القرار.

ويعرفه Solso (2001) بأنه نشاط عقلي معرفي، تنتج عنه طريقه جديدة، وغير مألوفة، في رؤية مشكلة ما، لإيجاد حل لها.

وأوضح Sternberg (2008) في نظرية الاستثمار في الابداع أن الابداع: هو قدرة عقلية لدى الفرد على الإدارة الذاتية لمجموعة من المكونات المترابطة والمتمايزة، وتتضمن تلك القدرة العقلية ثلاثة أنواع من التفكير، وهي:

- **التفكير التركيبي:** ويتضمن المهارة في رؤية المشكلة بطريقة جديدة، والبعد عن التفكير التقليدي.
- **التفكير التحليلي:** ويتضمن المهارة في تحديد الفكرة الأفضل، لحل المشكلة من بين عدد من الأفكار.
- **التفكير العملي:** ويتضمن كيفية تسويق الفرد لأفكاره الابداعية.

ومرتكز هذه النظرية أن؛ الأفراد المبدعون يمتلكون قدرة استثمارية، وهي الشراء بسعر منخفض، والبيع بسعر مرتفع "buy low and sell high"، مثلهم مثل المستثمرين؛ حيث يتعامل المستثمرون مع عالم المال والأسهم، بينما يتعامل المبدعون مع الأفكار الإبداعية، وخاصة الأفكار غير المقبولة من الآخرين، فيتميزوا بقدرتهم على إقناع الآخرين بقيمة الفكرة، ويكونوا قادرين على مواجهة التحديات والنظرة السلبية لابتكاراتهم وإبداعاتهم.

وبالرغم من عدم وجود تعريف موحد للابداع؛ لتعدد أطره التنظيرية؛ إلا أنه يوجد ثمة اتفاق حول كون الإبداع أو الابتكار قدرة Ability، تتطلب ممارسة عمليات عقلية "Mental Process" مهمة لتنميتها، وأن محك الحكم على الإبداع يتحدد تبعا لما يتمخض عنه من نواتج جديدة ذات قيمة.

ب- خصائص الابداع:

يتميز الابداع بعدّة خصائص، نذكر منها ما يلي:

- الإبداع يعني التمايز: أي الإتيان بما هو مختلف عن الآخرين من المنافسين المباشرين.
- الجدية و الحداثة: أي الاتيان بالجديد كليا أو جزئيا في مقابل الحالة القائمة، كما يمثل مصدر التجديد للمحافظة على حصة المؤسسة في السوق وتطويرها.
- الابداع هو القدرة على اكتشاف الفرص وقراءة جديدة ومختلفة للحاجات والتوقعات.
- الابداع هو خلق للمنفعة أو القيمة.
- الابداع هو رؤية خلاقة لاكتشاف قدرات المنتج الجديد أو اكتشاف السوق الجديد الذي هو غير موجود.

ج- أنواع الابداع:

تتعدد أنواع الإبداع، لتشمل:

الإبداع التكنولوجي: وهو عبارة عن تحويل فكرة معينة إلى منتج قابل للتسويق، أو تحسين منتج في طريق التصنيع، أو التسويق. أو طريقة جديدة لخدمة معينة.

الإبداع التنظيمي: فيقصد به إحداث التجديد في التنظيم، وإحلال نماذج تنظيمية جديدة تزيد من المرونة في أداء المهام، وتحسين علاقات العمل، وهو ما يستدعي توفر مستوى معين من التفكير والخبرة لدى المسيرين. ويكون هذا النوع الإبداعي غير مادي، ويهدف إلى تنظيم طرائق، وأساليب، وأنماط التسيير، لجعلها أكثر فاعلية.

د- آثار الإبداع في المؤسسة:

ويمكن تلخيص الآثار الإيجابية للإبداع فيما يلي:

- يعمل الإبداع على تحسين أداء المؤسسة.
- يعمل على تحسين التنظيم الإداري في المؤسسة، وذلك بترسيخ العمل الجماعي بين أفراد هذه الأخيرة.
- تدعيم تنافسية المؤسسة، وذلك باكتسابها مزايا تنافسية تعزز مركزها التنافسي في السوق، من خلال تحسين جودة المنتجات و تقليص التكاليف أي تخفيض الأسعار.
- مواكبة التطور التكنولوجي، وذلك من خلال تكثيف نشاطات البحث والتطوير قصد التحسين المستمر لمنتجات المؤسسة، وبالتالي تمديد دورة حياتها.

2- مفهوم الابتكار:

أ- تعريفه: لا يوجد اتفاق من قبل الباحثين حول تعريف الابتكار، إلا أنه يمكن تعريفه على أنه: "الاتيان بالجديد الذي لم يكن معروفا من قبل وتطبيقه على أرض الواقع".

وهو أيضا: عملية تطبيق الابداع و إنشاء قيمة مضافة بتطوير أعمال أو أشياء تم اختراعها من قبل.

يتضح من خلال التعريفين، أن هناك علاقة تلازمية بين الإبداع والابتكار، فمعظم الابتكارات نجدها تبدأ بأفكار إبداعية، حيث يعمل الابتكار على هذه الأفكار بإحداث تغييرات معينة ملموسة في المنتج، وهكذا يصبح الابتكار التطبيقات الناجحة للأفكار الإبداعية في أي مؤسسة أو منظمة، وعليه، فإن الإبداع هو عملية عقلية تؤدي إلى إنتاج أفكار جديدة. أما الابتكار هو عملية التطبيق الإيجابي لتلك الأفكار الإبداعية.

ب- تصنيف الابتكار حسب نمط النشاط في المؤسسة:

وهو على النحو التالي :

- **الابتكار في الإنتاج:** يظهر الابتكار في كل مجالات الإنتاج، فقد يتمثل في خلق مشروع جديد أو إعادة تشكيل منتوجات كانت موجودة بطريقة متطورة أو مختلفة، بحيث يعرض المنتج مزايا جديدة على الزبائن.

- **الابتكار في إجراءات الإنتاج:** يمكن صنع المنتوج بتكنولوجيا جديدة، أو سيرورة إنتاج غير معروفة، فقد يتجسد الابتكار في شكل تجهيزات جديدة للإنتاج، أو إدخال مادة أولية مختلفة، أو تنسيق جديد بين مختلف التجهيزات.

- **الابتكار التنظيمي:** يمكن للابتكار أن يجعل التنظيم يستجيب بسرعة لتدفقات الطلب وتقليص التخزين في آن واحد، كما يؤدي إلى تشجيع العمل الجماعي ويضمن مرونة كبيرة في إنجاز المهام.

- **الابتكار في التوزيع:** يمس الابتكار في التوزيع كل العناصر التجارية للمؤسسة، وكذا النقل والمستودعات وغيرها.

ثانيا: أهمية الابداع والابتكار

يعدّ الابداع والابتكار ركيزة رئيسة من ركائز تقدم المجتمع، بل أساس تغير المجتمعات وتطورها، فالاكتشافات الجديدة وراءها جهود مضنية، وفكر متواصل، وأعمال دائمة، ساهم فيها العديد من العلماء، والعباقرة المبدعين عبر الأزمنة المختلفة.

ويرى أحد الباحثين، أن الاعتماد على الابتكار والإبداع من أجل عالم المستقبل قد أضحى أكثر أهمية من ذي قبل، ولا سيما مع تعاظم المعضلات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية وغيرها من المعضلات الأخرى الكثيرة التي تؤرق العالم. فعلى المجتمعات العربية أن تُعنى بتربية الأجيال تربية إبداعية، تمكنهم من ملاحقة واستباق المتغيرات العالمية بخطى سريعة، من أجل تطوير البيئة، واستثمار طاقاتها. كما يجب تأصيل دور علماء المسلمين المبدعين في نفوس الناشئة من أمثال "أبو بكر الرازي" الملقب بـ "جالينوس العرب" لأفكاره الأصيلة، ومكتشفاته المبدعة في: الطب، والتشريح، والأدوية، والصحة العامة، والجراحة، وتطرقه غير المسبوق لمجالات جديدة لم يتطرق لها أحد من قبله.

وعليه، فإن عمليتي الإبداع و الابتكار هما من الأدوات الأساسية في تطوير الأعمال والمؤسسات، وتكمن أهميتهما في نقاط عديدة نذكر منها ما يلي:

- الابداع "Invention " قد يثري الشركة أو المنتج أو الخدمة بأفكار تعطي ميزة تنافسية تزيد المبيعات.

- الابتكار "Innovation" كفيل بخلق ثورة في المنتجات أو الخدمات التي تطرحها الشركة من خلال إعادة تصميم بيئة العمل الحالية، لإدخال تعديلات على المنتج أو ابتكار منتج جديد من المواد والأدوات الموجودة أصلا.

– تعتبر عملية الإبداع والابتكار عملية استراتيجية هامة للاقتصاد، ذلك أنها تحرك النشاط الاقتصادي وتمنحه نفسا قويا، فرواد الأعمال الصغيرة والمتوسطة هم من يبتكرون في المنتجات والخدمات ويساهموا في إيجاد فرص عمل جديدة وعدد كبير من الأعمال، وعليه أصبحت معظم الاقتصاديات تمنح فرصا لتشجيع رواد الأعمال نحو ابتكار منتجات وخدمات تدفع باقتصادها نحو النمو.

– تعتبر عمليتي الابداع والابتكار المحرك الرئيسي للنشاط المقاولاتي، لأنه في الواقع تسعى المؤسسات لكسر الروتين والخروج من حالة المنافسة التامة وكسب ميزة تنافسية للحصول على مكانة وحصة هامة في السوق، فتعتمد البحث والتطوير اللذان يرتكزان على عمليتي الإبداع والابتكار.

ثالثا: العوامل المساعدة على الإبداع والابتكار في المؤسسة

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر بشكل مباشر على مستويات الابداع والابتكار في المؤسسة منها :

أ– **الخصائص الشخصية:** تلعب الخصائص الشخصية دورا مهما للأفراد المبتكرين، فهم يتميزون بمجوعة من السمات تختلف عن غيرهم أهمها: حب الاطلاع، يتحدون الطرق التقليدية لأداء الأشياء، يفضلون النظر إلى أبعد من الإطارات المرجعية والتفكير، يأتوا بتصورات جديدة في طرق مواجهة المشاكل والفرص.

ب– **مجموعة العوامل التنظيمية:** وتتمثل هذه العوامل فيما يلي:

القيادة: تعتبر طبيعة القيادة من أهم العوامل التي تؤثر في القدرة الإبداعية للمؤسسة، وقد أثبت الواقع أن المؤسسات التي لها قادة يتمتعون بالصفات القيادية تتميز بالكفاءة العالية.

الهيكل التنظيمي: يؤثر الهيكل التنظيمي تأثيرا مباشرا على مستوى القدرة على الإبداع في المؤسسة، و ذلك من خلال الطريقة التي يتم بموجبها تنظيم هذه الأخيرة سواء كانت بطريقة لا مركزية أو مركزية.

ثقافة المؤسسة: تشكل ثقافة المؤسسة كمؤثر على القدرة الإبداعية، وقد أصبح شيئا مؤكدا عند المختصين أن التغيير التنظيمي يشتمل على التغيير الثقافي.

ج– **البيئة الاجتماعية والسياسية:** التفاعل القائم بين الفرد والمجتمع هو الذي يحدد شخصية الفرد المبتكر و تطور سلوكه، وينطلق هذا التفاعل على مستوى الأسرة التي تشكل البيئة المؤثرة الأولى للفرد المبتكر، ثم يأتي بعدها دور المؤسسات والمنظومات التعليمية والثقافية في تحفيز الفرد على الاهتمام بالإبداع والابتكار من خلال وسائل التربية والتوجيه الثقافي والحوافز.

د– **مؤسسات البحث والتطوير في المجتمع:** تلعب مراكز البحث والجامعات دورا مهما في تشجيع البحث من خلال خلق وتعزيز مكانة الباحثين المتميزين والمبتكرين في المجتمع، وتنقسم هذه المؤسسات إلى:

الهياكل العمومية: وتشمل مؤسسات البحث والتطوير التابعة للدولة و مديريات البحث التطبيقي في المؤسسات الاقتصادية العمومية، و تضم المخابر العلمية في الجامعات، مراكز البحث التطبيقي الجهوية والوطنية.

الهياكل الخاصة: وتشمل مقاولات القطاع الخاص والتي تنشأ هياكل البحث، الاختراع والابداع التكنولوجي، بالإضافة إلى المبدعين الأحرار ذوي المواهب والقدرات الابداعية.

نظام براءة الاختراع: يلعب نظام براءة الحقوق الفكرية وبراءة الاختراع دورا فعالا في إيجاد البعد المؤسسي لحماية حقوق المبتكرين والمؤسسات الابتكارية.

التمويل اللازم: كما يلعب وجود رؤس الأموال وآليات الدعم المالي دورا مهما، خاصة ما يتعلق بالابتكارات ذات المخاطر العالية جدا.